(١٧)
الخديو عباس الثانى والعفو عن النديم

خرج الشعب بعد هزيمة العرابيين فاترا مستسلما قلقا، واستغل البعض ذلك القلق العام لإرضاء مصالحهم، واختفت فكرة الواجب، وكادت هزيمة التل الكبير تقضى على الروح الوطنية، بل وخيل إلى البعض أن الحركة ماتت بسجن زعمائها، حيث أحس الشعب المصرى بنوع من الذهول عقب الثورة، وأخذ يلتمس زعماءه فوجدهم بين أسير يعانى آلام السجن أو النفى وهائم على وجه الأرض، ومع أنه قد ظهرت فى أواخر عصر توفيق بشائر بعث وطنى فإن مصر لم تكن بعد قد استردت أنفاسها، وباعتلاء عباس الثانى أريكة الخديوية بدأت رحلة جديدة من مراحل الحركة الوطنية فى مصر، فقد فرح المصريون بالخديو الجديد، لأنهم كانوا يبغضون

والده فأقبلوا عليه وأبدوا استعدادهم لوضع يدهم فى يده، وتوسموا فيه خيرا بعد أن وجدوه مستاء من سيطرة الإنجليز على كل مرافق البلاد الحيوية دونه، واعتزامه وضع حد لهذه الحالة حتى لا يكون دمية فى يد الإنجليز، ورسم لنفسه طريق مقاومة السيطرة البريطانية فى أوائل حكمه، بقصد أن تكون له يد فى إدارة الحكومة مما سبب متاعب مزعجة للحكومة البريطانية، فتقرب إلى الشعب حيث كان يستقبل طوائفه كل شهر واتصل بالعلماء والأعيان وطاف بالأقاليم وانتقد سياسة والده فى الاستسلام للإنجليز وعاب على رجال المعية ضعفهم ولم يدع فرصة للتقرب من الشعب إلا واقتنصها فأصدر عفوه عن عدد كبير من مسجونى الثورة العرابية، وأمر بإلحاقهم بوظائف مدنية فى نظارتى الداخلية والمالية وبفروع النظارات والمأموريات وأعاد إليهم نياشينهم، كما أصدر عفوه عن عبد الله النديم وأباح له العودة إلى مصر فوصلها فى ٩ مايو ١٨٩٢ وظل النديم يتردد بين القاهرة والإسكندرية أكثر من شهر ثم استقر بالقاهرة. فوجد أن تغييرا كبيرا قد حدث بالبلاد حيث وطد الإنجليز أركان حكمهم، وتغلغلوا فى جميع مرافق البلاد الحيوية وكأن الأمر قد استتب لهم تماما، كما وجد أن الشعب الذى تركه وهو يتأجج وطنية قد خيمت عليه روح الهزيمة والاستسلام وانتشرت بين أفراده موجة الانحلال الخلقى.